ترجمة القرآن فوق طاقة المترجمين

للأستاذ عبد اللطيف مشتهري

« وإنه لكتاب عزيز ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » ٤١ ، ٤٢ فصلت

(١) عروبة القرآن وضعم إلى

« إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » يوسف ـ ٢ ـ

« وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد » طه ـ ١١٣

« وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين » الأحقاف ـ ١٢

« قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون » الزمر ٢٨

« كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون » فصلت ٣

« إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » الزخرف ٣

« وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا » الشورى ٧ .

« وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين » الشعراء ١٩٢ ـ ١٩٥

« يقولون إنما يعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون إليه أعجمي ، وهذا لسان عربي مبين » النحل ١٠٣ .

« ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي » فصلت ٤٤

« وكذلك أنزلناه حكما عربيا . . » الرعد ٣٧ .

قال في تفسير المنار بالجزء التاسع طبعة ١٩٢٨ ص ٣١٥ ما نصه : ـــ

« فهذه آيات محكمات ، من أم الكتاب في هذا الباب ، تجاوزت جمع القلة إلى جمع الكثرة ، وعدون إشارات الإيجاز وحدود المساواة ، إلى باحة الإطناب ، ينطق بنصوص صريحة لا تحتمل التأويل ولا تقبل التبديل ولا التحويل ، بأن الله تبارك وتعالى هو الذي أنزل هذا الكتاب الذي جعله آخر كتبه ، على خاتم أنبيائه ورسله

قرآنا عربيا ، وأنه هو الذي جعله قرآنا عربيا ، وأنه هو الذي أوحاه قرآنا عربيا، وأنه هو الذي فصل آياته قرآنا عربيا ، وأن الروح الأمين ، نزل به على قلب خاتم النبيين بلسان عربي مبين، وأنه ضرب فيه من كل مثل للناس ، والمراد بالناس أمة الدعوة ، من جميع الملل والنحل ، حال كونه قرآنا عربيا غير ذي عوج ، وأنه أمر خاتم رسله أن ينذر به (أم القرى) ومن حولها من جميع الورى ، وأنه على إنزاله إياه قرآنا عربيا ، للإنذار والذكرى والوعيد والبشرى ، لعلهم يعقلون ولعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا ، أنزله حكما عربيا ، وأمر من أنزله عليه أن يحكم به بين جميع الناس بما أراه الله فيه من الحق والعدل الذي جعله فيه حقا مشاعا لا هوادة فيه ولا محاباة لقرابة ولا لأهل ، فقال « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ، ولا تكن للخائنين خصيما» (الآيات من سورة النساء من ١٠٤ - ١١٤) بطولها ، اقرأها وراجع سبب نزولها .

فعلم من هذه الآيات المحكمة ، أن القرآن هداية دينية عربية ، وأنه حكومة دينية مدنية عربية ، عربية اللسان ، عامة لجميع شعوب الإنسان ، «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » — « ليكون للعالمين نذيرا » «وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا» «ولكن رسول الله وخاتم النبيين»، «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا » .

وقد بلغ ﷺ دعوة ربه كما أمره فبدأ بأم القرى ، ثم بما حولها من جزيرة العرب وشعوب العجم، باللسان العربي الذي قضى الله أن يوحد به ألسنة جميع الأمم فيجعلهم أمة واحدة بالعقائد والعبادات والآداب ، والشرع واللغة،ليكونوا بنعمته إخوانا لا مثار بينهم للعداوات التي تفرق بين الناس بعصبيات الأنساب والأقوام والأوطان والألسنة ، فكتب ﷺ إلى قيصر الروم وكسرى الفرس ومقوقس مصر بلغة الإسلام العربية، ككتبه إلى ملوك العرب وأمرائهم وبلغ أصحابه ما أمر الله به أمته من تعميم الدعوة وبشرهم بأن نورها سينتشر ما بين المشرق والمغرب،فصدع الصحابة والتابعون لهديهم ، وجميع دول الإسلام من بعدهم بما أمروا به من نشر هذا الدين بلغته ، في كلا قسمي شريعته (عبادته وحكومته) .

(٢) آثار إبلاغ القرآن بلغته العربية لجميع الأمم :

كان الإسلام ينتشر في شعوب الأعاجم من قارات الأرض الثلاث (آسيا وأفريقيا وأوروبا) بلغته العربية ، فيقبل الداخلون فيه على تعلم هذه اللغة بباعث العقيدة ، وضرورة إقامة الفريضة ، ولا سيما فريضة الصلاة التي هي عماد الدين ، وأعظم أركانه بعد التصريح بالشهادتين ، فكان تعلم العربية من ضروريات الإسلام ، عند جميع تلك الشعوب والأقوام ، بالإجماع العملي التعبدي والسياسي .

ثم ذكر للمنار ، ما كان من بعض الدول الإسلامية من تقصير ، بعدم جعل اللغة العربية لغة رسمية للدواوين ، فآل ذلك إلى التعارض والتعادي بين عصبية هذه الدولة اللغوية ورابطة الإسلام ، وأدى ذلك إلى التفرق والتقاتل بين هذه الدولة المتنكرة للغة القرآن وبين العرب .

فهجر كل ما هو إسلامي ، بل حاربته تعمداً وتحضراً وارتماء في أحضان الغرب المعادي للإسلام ولغة كتابه ، ثم وصل التآمر على الإسلام إلى التعدي على القرآن ، فعمدوا إلى ترجمة ألفاظه ، لا ليفهمه الشعب ، فإن تفاسيره بلغتهم كثيرة ، ولكن لحرب كل ما هو عربي من اللغة ، حتى حرموا برمتها مدارسة كتب السنة وكتب الفقه ونحوها ، لأنها مشحونة بآيات القرآن العربية ، والأحاديث النبوية العربية ، وبآثار السلف الصالح العربية ، وبالحكم والأمثال وشواهد اللغة العربية ، واقترح بعضهم كتابته بالحروف اللاتينية ، حتى يبدل كتاب الله القرآن بلغته بعض الملاحدة ، مع أنه الكتاب العربي المبين ، المتعبد بألفاظه العربية بإجماع المسلمين ، والمعجز ببلاغته العربية لجميع العالمين ، والحجة لله إلى يوم الدين .

(٣) جريمة ترجمة القرآن ترجمة لفظية حرفية :

قال : إن من تقصير المسلمين في نشر دينهم ألا يبينوا معاني القرآن لأهل كل لغة بلغتهم ، لدعوة من ليس من أهله إليه ، وإرشاد من يدخل فيه عند الحاجة بقدر الحاجة ، وإن من زلزال المسلمين في دينهم أن يتفرقوا إلى أمم ، تكون رابطة كل أمة منها جنسية نسبية أو لغوية أو قانونية ، ويهجروا القرآن المنزل من عند الله تعالى ، المعجز بأسلوبه وبلاغته وهدايته ، اكتفاء بأفراد يترجمون لهم حسب فهمهم ، وهذا

الزلزال ، أثر من آثار جهاد أوربا السياسي والمادي للمسلمين ، وزين لنا أن نتفرق ونتقسم إلى أجناس ، فظن كل جنس منا أن في ذلك حياته ، وما في ذلك إلا موت الجميع ، وإننا نوجز بيان المفاسد المترتبة على هجر المسلمين القرآن المنزل « بلسان عربي مبين » استغناء عنه بترجمة أجنبية ، يغنيهم عنها تفسيره بالفهم ، ونوجز هذه المفاسد لترجمة القرآن فيما يلي :

(ا) إن ترجمة القرآن ترجمة حرفية بحيث تطابق الأصل متعذرة ، أما الترجمة المعنوية فهي عبارة عن فهم المترجم القرآن ، أو فهم من عساه يعتمد هو على فهمه من المفسرين ، وحينئذ لا تكون هذه الترجمة هي القرآن ، وإنما هي فهم رجل للقرآن ، يخطىء في فهمه ويصيب ، ولا يحصل بذلك المقصد المراد من الترجمة .

(ب) إن القرآن هو أساس الدين الإسلامي ، بل هو الدين كله ، إذ السنة ليست دينا إلا من حيث إنها مبينة له ، فالذين يأخذون بترجمة القرآن يكون دينهم ما فهمه مترجم القرآن لهم ، لا نص القرآن المنزل من عند الله تعالى على رسوله ﷺ ، والاجتهاد بالقياس إنما هو فرع عن النص والترجمة ليست نصا من الشارع ، والإجماع عند الجمهور لا بد أن يكون له مستند ، والترجمة ليست مستنداً ، فعلى هذا لا يسلم لمن يجعلون ترجمة القرآن قرآنا ، شيء من أصول الإسلام .

(ج) إن القرآن منع التقليد في الدين ، وشنع على المقلدين ، فأخذ الدين من ترجمة القرآن هو تقليد لمترجمه ، فهو إذا خروج عن هداية القرآن لا اتباع لها .

(د) يلزم على ترجمة القرآن حرمان المقتصرين على هذه الترجمة مما وصف الله به المؤمنين في قوله : « قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني » ، وأمثالها من الآيات التي تجعل من المسلم مستقلا لعقله وفهمه فيما أنزل الله ، قال تعالى : « اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء ، قليلا ما تذكرون » ، والمنزل إلينا من ربنا هو القرآن العربي كما صرحت به الآيات (في صدر هذا المقال) فاتباع الترجمة مخالف لكل من الأمر والنهي في هذه الآية .

(هـ) ويلزم أيضا حرمانهم من هذه الصفات العالية ، الاجتهاد والاستنباط من عبارة المترجم لأن الاجتهاد فيها مما لا يقول به مسلم.

(و) إن من يعرف لغة القرآن ، وما يحتاج إليه في فهمه ، كالسنة النبوية وتاريخ الجيل الأول ، الذى ظهر فيه الإسلام ، يكون مأجوراً بالعمل بما يفهمه من القرآن وإن أخطأ في فهمه ، لأنه بذل جهده في الاهتداء ، بما أنزل الله هداية له ، كما يعلم ذلك من معاملة النبى ﷺ لأصحابه فيما فهموه من كيفية التيمم ، إذ عذر المختلفين في فهمها والعمل بها ، وما فهموه في نهيه عن صلاة العصر إلا في بنى قريظة وأمثال هذه الاجتهادات ، التى يؤجر عليها المسلم ، ولا يمكن حصول هذه المزايا في عبارة مترجم القرآن .

(ز) القرآن ينبوع الهداية والعلوم الإلهية ، لا تخلق جدته ، ودائما تتجدد حكمته ودلالته ، فربما ظهر للمتأخر من حكمه وأسراره ما لم يظهر لمن قبله ، تصديقا لعموم حديث (رب مبلغ أوعى من سامع) وترجمة القرآن تبطل هذه المزية ، إذ تقيد القارىء بالمعنى الذى صوره المترجم بحسب فهمه ، مثال ذلك أن المترجم قد يجعل قوله تعالى : « وأرسلنا الرياح لواقح » من المجاز بالاستعارة لاتصال الريح بالسحاب وحدوث المطر عقب ذلك ، يشبه تلقيح الذكر للأنثى وحدوث الولد بسببه ذلك كما فهم بعض المفسرين ، فإذا هو جرى على ذلك حسب فهمه أو قصور لغته التى يترجم إليها القرآن فإن القارئين لترجمته يتقيدون بهذا الفهم فيحرمون من فهم المعنى الحقيقي لكلمة : (لواقح) وهو كون الرياح لواقح بالفعل إذ هى تحمل مادة اللقاح من ذكور الشجر إلى إناثه ، فالترجمة تقف بنا عند حد من الفهم ، يعوزنا معه الترقى المطلوب .

(ح) ذكر الغزالى فى كتاب (إلجام العوام من علم الكلام) أن ترجمة آيات القرآن المتعلقة بالصفات الإلهية غير جائزة وأن الخطأ فى ذلك مفرجة للكفر .

(ط) ذكر الغزالى أيضا فى الاستدلال على ما تقدم أن من الألفاظ العربية ما لا يوجد لها لغة أخرى تطابقها ، فما الذى يصنعه المترجم فى مثل هذه الألفاظ ، وهو إن شرحها بحسب فهمه ربما يوقع قارىء ترجمته فى اعتقاد ما لم يقصده القرآن .

(ى) إن من الألفاظ العربية ، ما قد يكون لها فى اللغات الأخرى ما يطابقها ولكن لم تجر عادة أهل هذه اللغات استعمالها فى الاستعارات ، كما يحدث أحيانا فى لغة القرآن ، فيفسره المترجم بالمعنى

الحقيقي حسب لغته وفهمه، والله إنما يريد المعنى المجازي ، قال حجة الإسلام : وهذا المقام من مزلات الأقدام إذا كان الكلام من الله عز وجل وصفاته وأفعاله .

(ك) قال الغزالي أيضاً : إن من هذه الألفاظ ما يكون مشتركا في العربية ، ولا يكون كذلك في اللغات الأخرى ، فقد يختار المترجم غير المراد له من معاني المشترك ، ولا يخفى ما فيه .

(ل) من المقرر عند العلماء أنه إذا قام دليل قطعي على امتناع ظاهر آية من آيات القرآن ، فإنه يجب تأويلها حتى تتفق مع ذلك الدليل ، ولا شك في وجود الفرق الشاسع بين تأويل ألفاظ القرآن ، وتأويل ألفاظ ترجمته ، لا سيما في الآيات المتشابهة والألفاظ المشتركة .

(م) إن لنظم القرآن وأسلوبه تأثيراً خاصاً في نفس السامع ، لا يمكن أن ينقل بالترجمة ، ويفوت بفوته خير كثير ، وطالما كان هذا التأثير جاذباً للإسلام ، حتى قال أحد فلاسفة أوربا وهو فرنسي : إن محمداً كان يقرأ القرآن بحال مؤثرة تجذب السامع إلى الإيمان به ، فكان أثره أشد من تأثير ما ينقل من غيره من الأنبياء من المعجزات ، وحضر أحد الأجانب احتفالا في إحدى المدارس ، وافتتح الاحتفال تلميذ بقراءة آيات من القرآن ، فقال الأجنبي : إن لهذه القراءة تأثيراً عميقاً في النفس ، وسجل هذا الأثر في جريدة الأهرام ، فإذا كان لتلاوة القرآن هذا التأثير حتى في نفس غير المؤمن به ، فكيف نحرم منه المسلمين بترجمة القرآن لهم .

(ن) إذا سلمنا بترجمة القرآن إلى اللغات المختلفة ، تركية وفارسية وهندية وصينية وانجليزية وفرنسية ... الخ ثم أريد ترجمة هذا القرآن غير العربي ، فلابد أن يكون بين هذه التراجم من الخلاف ، مثل ما بين تراجم كتب العهد العتيق والعهد الجديد عند النصارى ، بل يكون الخلاف عندنا أشد ، لعجز جميع البشر عن ترجمة القرآن ، دون الترجمة والإنجيل ، وقد رأينا (رشيد رضا) ما استخرجه لهم صاحب كتاب « إظهار الحق » من الخلافات التي كنا نقرؤها ، ونحمد الله أن حفظ كتابنا من مثلها ، فكيف نختار مثلها من الخلافات لديننا وكتابنا وأنفسنا ؟

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(س) إن القرآن هو الآية الكبرى على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، بل هو الآية الباقية من آيات النبيين ، وإنما يظهر كونه آية باقية محفوظة من التغيير والتبديل ، والتحريف والتصحيف ، بالنص الذي نقلناه ، عمن جاء به من عند الله ، والترجمة ليست كذلك ، هذا ما تراءى لنا من الوجوه العامة من ترجمة القرآن للمسلمين ليكون لهم قرآن أعجمي ، بدل القرآن العربي ، وهناك وجوه أخرى للمنع يمكن استنباطها ، وهي كثيرة لا تحصى .

وأما دعوى وجوب الترجمة بحجة أن عدمها يستلزم بقاء القرآن غير مفهوم (لشعوب كثيرة) فهي ممنوعة ، لأننا نقول : إن فهمه سهل ، ولكن ليس لأحد أن يجعل فهمه حجة على غيره ، فكيف يجعله دينا لشعب برمته ؟

وإن الطريق السليم لاهتداء الأجنبي بالقرآن على درجتين : درجة دنيا ، خاصة بالعوام الذين لا يتيسر لهم طلب العلم ، ليحفظون الفاتحة ، وبعض السور القصيرة لأجل قراءتها في الصلاة ، ويترجم لهم تفسيرها ، وتقرأ لهم في مجالس الوعظ بعض الآيات ، ويذكر لهم تفسيرها ، بلغتهم كما جرى عليه كثير من الأجانب حتى ببلاد الصين . ودرجة عليا ، للمشتغلين بالعلم ، وهؤلاء يجب أن يتقنوا اللغة ، ويستقلوا بفهمه ، مستعينين بكلام المفسرين غير مقلدين لأحد منهم .

إن الأعاجم الذين دخلوا الإسلام ، على يد الصحابة الكرام ، قد فهموا أن الإسلام لغة خاصة به ، لا بد أن تكون عامة بين أهله ، ليفهموا كتابه الذي ، يدينون به ، ويهتدون بهديه ، ويعبدون الله بتلاوته ، ولتتحقق بينهم الوحدة المشار إليها بقوله (إن هذه أمتكم أمة واحدة) الأنبياء ٩٢ ويكونوا جديرين بأن يعتصموا به وهو حبل الله ، فلا يتفرقوا ، ولتكمل فيهم أخوة الإسلام التي حتمها عليهم بقوله (إنما المؤمنون إخوة) الحجرات ١٠ .

ولذلك انتشرت اللغة العربية في البلاد التي فتحها الصحابة ، بسرعة غريبة ، مع عدم وجود مدارس ولا كتب ولا أساتذة التعليم ، واستمرت الحال على ذلك في زمن الأمويين ، في الشرق والغرب ، وفي أول مدة العباسيين ، حتى صارت اللغة العربية لغة الملايين من الأوروبيين والبربر والقبط والروم والفرس ، وغيرهم في ممالك تمتد من المحيط الغربي إلى بلاد الهند .

فهل كان هذا إلا خيراً عظيماً : تآخت فيه شعوب كثيرة ، وتعاونت على مدنية كانت زينة للأرض ، ونوراً لأهلها ؟ بل نقول : لقد كان يجب أن تكون مسألة (ترجمة القرآن) أبعد من أهواء الخلاف للنصوص الكثيرة الصريحة فيها ، وإجماع السلف والخلف ، بالعلم والعمل عليها ، وعدم شذوذ أصحاب المذاهب والفرق ، حتى المبتدعة منها ، ومضى أربعة عشر قرناً على ذلك ، فقد كثر الخلاف والتفرق في الدين ، وتعددت الأحزاب والشيع في المسلمين ، بل ارتد بعض الفرق بضروب من التأويل وسخافات من أباطيل التحريف ومع هذا فلم تقم فرقة تنتمي إلى الإسلام بترجمة القرآن ، ولا ضلت طائفة بترجمة أذكار الصلاة والأذان ، لأجل الاستغناء بها في التعبد لله ، عن اللفظ المنزل من عند الله . وإنما قصارى ما وقع من الخلاف فيما حول ذلك من فروع المسألة ، ومن تصوير الفقهاء الوقائع النادرة (أنه إذا أسلم أعجمي مثلا ، وأردنا تعليمه الصلاة ، فلم يستطع لسانه أن ينطق ألفاظ الفاتحة ، فهل يصلي بمعانيها من لغته ، أم يستبدل بها بعض الأذكار العربية المأثورة مؤقتاً ريثما يتعلم القرآن ، كما ورد في بعض الأحاديث ، أم يصلي بترجمة الفاتحة بلغته ؟

نقل القول الأخير عن أبي حنيفة وحده مع مخالفة جميع أصحابه له ، ونقل عنه أنه رجع إلى الإجماع ، ولم ينقل عن أحد من المسلمين أنه عمل بهذا الرأي (على أنه لا حجة في قول أحد ولا عمله ، غير المعصوم) فكان هذا الإجماع التام المطلق مما يؤيد حفظ الله تعالى القرآن :

كان الشافعي رحمه الله : في رسالته في أصول الفقه « نزل القرآن كله بلسان العرب ، ليس فيه شيء إلا بلسانهم ، والحجة على ذلك قوله تعالى: « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم » فإذا كانت الألسنة مختلفة بما لا يفهمه بعضهم عن بعض فلا بد أن يكون بعضهم تبعاً لبعض ، وأن يكون الفضل في اللسان المتبع على اللسان التابع ، وأولى الناس بالفضل في اللغة من لغته لغة رسول النبوة صلى الله عليه وسلم اللغة العربية، ولا يجوز — والله تعالى أعلم — أن يكون أهل لسانه أتباعا لأهل لغة غير لغته في حرف واحد ، بل كل لسان تبع لسانه ، وكل أهل دين قبله ، فعليهم اتباع دينه ، وقد

بين الله ذلك في غير آية من كتابه ثم ذكر الشافعي رحمه الله بعض الآيات التي صدرنا بها مقالنا هذا، ثم قال:

فأقام الله حجته على أن كتابه عربي، وأكد ذلك بأن نفى عنه كل لسان غير لسان العرب في آيتين من كتابه تعالى:

« لسان الذي يلحدون إليه أعجمي، وهذا لسان عربي مبين » وقال سبحانه: « ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته ءأعجمي وعربي »؟.

ثم ذكر الشافعي نعمة الله على المؤمنين، إذ بعث فيهم رسولا منهم، وجعل القرآن ذكرا له ولقومه العرب، وأمره أن ينذر قومه خاصة وغيرهم بقوله: «وأنذر عشيرتك الأقربين» وقوله: «لتنذر أم القرى ومن حولها» فجعلهم في كتابه خاصة، وأدخلهم مع المنذرين عامة، وقضى أن ينذروا بلسانهم العربي، لسان قومه منهم خاصة.

وشدد الشافعي في وجوب تعلم اللغة العربية لا سيما فيما افترض الله على المسلم تعلمه من أركان الإسلام وأذكارها، وقال: (ومن تعلم اللسان العربي، انتفت عنه الشبه التي دخلت على من جهله).

ونص الشافعي هذا في أول رسالة أصولية قد أجمع على اعتباره أئمة المسلمين سلفا وخلفا. وقد اشتهرت هذه الرسالة في جميع الأقطار الإسلامية، ومع اختلاف الأئمة في بعض مسائل الفروع الفقهية، فإن أحدا لم يشذ عن الشافعي في هذه المسألة بالذات ولم يخالفه أحد، بل ولم يناقشه فيها، ولا فيما أورده من الأدلة عليها، ولم يخرج عن هذا الإجماع (وهو التعبد بتلاوة القرآن العربي وأذكار الصلاة والحج وغيرها) سني ولا شيعي، ولا أباضي ولا خارجي ولا معتزلي.

ولم يقل أبو حنيفة ولا غيره، باستغناء أي شعب في دينه، عن لغة كتابه وسنته والدليل على هذا أن جميع أتباع أبي حنيفة أنفسهم ومقلديه من الأعاجم، لا يزالون يقرءون القرآن، وأذكار الصلاة والحج وغيرها بالعربية، وكذلك خطبة صلاة الجمعة والعيدين، إلا ما شذت به بعض الدول، في الخطابة بلغتها، تمهيداً للصلاة بها، لخلع ربقة الإسلام.

(أقول): وقد عادت هذه الدولة لتقرير لغة القرآن في شعائر الإسلام، لما رأت نفور الشعب المسلم من غير لغة كتابه،

ونوره على من حاول محوها من لسانه وعبادته : « ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

ومن قبل ذلك فى عهد الدولة العباسية ، عهد المأمون هفوة سياسية ، حركت العصبية الجنسية فى الفرس فجعلوا يتراجعون إلى لغتهم ، ويعودون إلى جنسيتهم ، وجاء الأتراك ففعلوا بالعصبية الجنسية ما فعلوا فسقط مقام الخلافة ، وتمزق شمل الإسلام بفرقة ملوك الطوائف ، ولكن لم تصل الفتنة بالناس ، إلى إيجاد قرآن أعجمى للأعاجم وإبقاء القرآن العربى خاصا بالعرب بل بقى الدين والعلم عربيين وراء إمامهما الذى هو القرآن .

ثم قال (المنار) : وملخص هذه الفتوى : « إن ترجمة القرآن ترجمة حرفية متعذرة ويترتب عليها مفاسد كثيرة ، وذلك محظور لا يبيحه الإسلام ، لأنه جناية عليه وعلى أهله ، ولا يجوز أن تسمى الترجمة قرآنا ، ولا كتاب الله ، ولا أن يسند منها شىء إلى الله تعالى ، فيقال : قال الله كذا ، لأن كتاب الله وقرآنه عربى بالنص القطعى ، والإجماع القطعى ، من سلف أهل الملة وخلفها .

فكل لغات الترجمات ليس لها شىء من خصائص القرآن اللفظية ولا المعنوية كالإعجاز وغيره ، ولا بد أن تكون مخالفة له فى المعنى كمخالفتها فى اللفظ ، فإسنادها إليه تعالى كذب عليه وكفر بكتابه ، بل أجمع المسلمون على أنه لا يجوز إبدال لفظ من ألفاظ المصحف بلفظ آخر يرادفه من اللغة العربية ، ككلمتى (شك وريب) فى قوله تعالى : (ذلك الكتاب لا ريب فيه) .

وأما الترجمة المعنوية ، التى هى عبارة عن تفسير ما يحتاج إلى تفسيره منه بلغة أخرى فغير محرم ، وإنما تتبع فيه المصلحة الشرعية قدرها» .

والواقع أن تفسير (المنار) ـ أثاب الله صاحبه ـ قد أطال النفس فى تحريم الترجمة للقرآن ، فى نحو ست وخمسين صحيفة فى الجزء التاسع فى سورة الأعراف ، وفنده كل حجج المؤيدين للترجمة ، والساعين إليها ، أو القائمين بها ، ويبرز جهده الإجرام فى حق الله وكتابه ، وفى حق المسلمين ممن يسمى هذا السعى الخبيث ، ويحاول الاعتداء على أقدس مقدسات المسلمين ، سواء أكان ذلك منه بحسن قصد ، أم كان بسوء قصد كما يقال أن تبليغ الإسلام ، لا يتوقف

على ترجمة حروف القرآن ، بل من الممكن ، ولقد أمكن فعلا ، أن تترجم المعاني ، والأهداف ، والأحكام والحكم لكتاب الله وسنة نبيه الأعظم ﷺ ، ومن يتحقق من الأجانب معرفة الأصل ، فالسبيل سهل أمامه ، لتعرف لغة العرب ، ومدارستها ، ليتلقى إسلامه من نبعه الصافي ، وقد ذكر الإمام رحمه الله في ذلك أقوال فقهاء المذاهب المشهورة والمعتبرة ، ونقل إجماع السلف والخلف على وجوب صيانة القرآن ، وإبقاء ألفاظه المعجزة ، في ثوبها العربي الناصع المعجز ، وبين ما ترتب على الترجمات الأجنبية من خطأ فظيع في نقل معاني كتاب الله ، وبالتالي من تطرف الملحدين ، ونهب المستعمرين لأملاكهم ، إذ ستتعصب كل أمة لما لديها من ترجمة تسميها قرآنا بلغتها هي ، وقد تتوالى لديها التفسيرات والتأويلات لترجمتها بما يزيدها بعدا عن مراد الله ، إذ ستتعدد الوسائط الناقلة البعيدة عن الأصل ، وهنا يكون المسلمون قد فرقوا دينهم وكانوا شيعا ، وقطعوا أمرهم بينهم زبرا ، كل حزب بما لديهم فرحون ، فتنفصل الروابط ، ويسهل على أعداء الإسلام التهامهم دولة وراء دولة (أكلت يوم أكل الثور الأبيض) أو كما قال علي رضي الله عنه (إنما هنت يوم هان عثمان) إذ فقدوا الجامع الجمع لهم ، والمقوى لوحدتهم ، والهاد لجامعتهم ، والمنسق بين أفكارهم وآمالهم وآلامهم ، وصدق الله العظيم :

«واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا»

٤ — تعذر ترجمة القرآن :

هذا قرار أجمع عليه الخلف والسلف ، كما ذكرنا ، ولا يحتاج المسلم صحيح الإسلام إلى دليل على هذا ، لأنه يؤمن بأن القرآن معجز للبشر ، بأسلوبه ونظمه العربي المنزل كما أنه معجز بهدايته وإصلاحه للبشر ، وقد تحدى النبي ﷺ العرب بهذا الإعجاز ، وتحدى المسلمون به من بعدهم ، فثبت عجز الجميع عن الإتيان بمثله ، وصدق قوله عز وجل : (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) ٨٨ الإسراء — والترجمة لا تكون صحيحة ، إلا إذا كانت مثل الأصل .

فالآية ، نص قطعي على عجز الإنس والجن عن الإتيان بمثله ، ولو كان بعضهم عونا ومساعداً لبعض ، فكيف يمكن أن

يأتي بمثله فرد أو جماعة ! إن الذين يريدون ترجمته ، إنما قصدهم صرف أمة الإسلام من قومهم ، الترجمة عن الكتاب المنزل من عند الله ، قوم ليسوا مؤمنين به ، حتى تقوم عليهم هذه الحجة ، وكثير من المسلمين المقلدين الذين يجهلون كثيراً من أصول الإسلام وفروعه، ينخدعون بشبهات القائلين بترجمة الكلام الإلهي باللغات المختلفة ، ولا يدرون أنه غير ممكن ولا أنه غير جائز ، وقد بينا للفريقين (فريق الكافرة به – وفريق المؤمنين الجهلة بخطورة الترجمة) عدم جوازه وما يترتب عليها من المفاسد بالأدلة المقنعة .

وتزيد الأمر وضوحاً ، فنثبت تعذر ترجمته من جهة اللغة ، كما هي محرمة من جهة الشرع ، ونكتفي بقليل من الشواهد فالاستيعاب لها يحتاج إلى كتاب مستقل، ونقرر مبدئيا أن الترجمة متعذرة من حيث المفردات ، ومن حيث الجمل ، ومن حيث الأساليب.

من المعلوم بالقطع لدى العارفين باللغات المتعددة ، ولدى علماء الاجتماع ، أنه لا يمكن أن تتفق لغتان من لغات العالم ، في مفرداتها ، ولا في طرق دلالتها ، وإذا فرض واتفقت لغتان في حقيقة اللفظ واحده ومجازه وكنايته ، بحيث يترجم أحدهما بالآخر ، مهما يكن المراد منه المتكلم ، فلن يمكن مثل هذا في الأوضاع الجديدة الشرعية والعرفية ، كالألفاظ الموضوعة في القرآن لصفات الله تعالى ، وغير ذلك من عالم الغيب ، أو لبعض العبادات، ويستحيل قيام لغة مقام أخرى في آدابها ومعارفها ، ومعانيها العقلية والشعرية .

مثال ذلك الأسماء الموضوعة ليوم القيامة ، وهي كثيرة ، وكل لفظ منها له معنى تدل عليه مادته العربية ، وهذا المعنى مراد لتحققه في ذلك اليوم (كالواقعة ، والقارعة ، والطامة ، والصاخة ، والحاقة والغاشية الخ) فلو ترجمت كلها بمعنى (يوم القيامة) فاتت المعاني الاشتقاقية المقصودة بالذات من هذه الأسماء وهي بيان صفات ذلك اليوم مبدأ وغاية ، وما يقع فيه ، وما فيها من وعظ وتذكير مؤثرة في الخوف والرجاء ، والرادعة عن المعاصي ، وإذا ترجمت بمعناها الاشتقاقي لم يفهم منها أن المراد بها صفة يوم القيامة ، فلفظ القارعة يدل في أصله على امرأة تقرع هدبتا

بالقرعة ، وفى المجاز معناها : داهية تقرع القلوب بأهوالها .

وأخص منها « الصاخة » وهى الضربة ذات الصوت الشديد ، الذى يصخ المسامع أى يقرعها حتى يصمها أو يكاد ، أو الذى يضطرها إلى الإصاخة والإصغاء .

وإذا أنت فسرت الكلمة بيوم القيامة ، ووصفته بالقارعة فى سورتها ، وبالصاخة فى سورة (عبس) تكون قد افلت من مأزق الترجمة إلى سعة التفسير ، وحينئذ قد تكون عرضة للغلط فى التفسير ، يضيع به شىء من مراد الله تعالى من هذه الألفاظ .

وإذا كان بعض المفسرين بالعربية ، قد وقع فى مثل هذا الغلط ، فالمترجم بلغة غير عربية أولى بالغلط ، لقد فسرها بعض المفسرين فقال : المراد بالقارعة : الداهية التى تقرع القلوب ، ولكنه تفسير مردود بدلالة القرآن نفسه ، فالله تعالى يميز هذا القرع فى أول سورة الواقعة (إذا وقعت الواقعة . ليس لوقعتها كاذبة ، خافضة رافعة إذا رجت الأرض رجا ، وبست الجبال بسا ، فكانت هباء منبثا) ، وهذا هو عين المراد من قوله تعالى : (القارعة ، ما القارعة وما أدراك ما القارعة ! يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ، وتكون الجبال كالعهن المنفوش) .

ويوضح هذا من نظريات الفلك ، ما قرره علماؤه : من أن خراب هذا العالم لا يتصور إلا بدنو بعض النجوم ذوات الأذناب من الأرض وصدمه أو قرعه لها قرعا شديدا ، على نسبة قوة الجذب ، تبس به الجبال ، أى تتفتت حتى تكون هباء منبثا فى الفضاء ، وحينئذ يختل نظام الجاذبية العام ، فتتناثر الكواكب وتتصادم ، كما قال تعالى فى وصف ذلك اليوم : (وإذا الكواكب انتثرت) فانطباق الآيات المختلفة الواردة فى وصف يوم القيامة من السور المتفرقة ، على هذه النظرية الفلكية ، التى لم تكن فى عصر التنزيل معروفة للعرب ، ولا لغيرهم من علماء الفلك على الطريق القديم ، قد تعد فى هذا العصر من معجزات القرآن وعجائبه وفاقا لما ورد فى وصفه من الأثر (لا تنتهى عجائبه) ولكن كل هذه المعانى المعجزة لا يمكن ظهورها فى الترجمة الحرفية ، فيكون قصورها وعدم موافقتها للأصل من طرق متعددة :

وقد فسروا أيضاً: (مالك يوم الدين) بيوم القيامة، والدين هنا مراد به الجزاء على الأعمال، وفي ذكره مقصود بالذات، وله من التأثير ما ليس لكلمة يوم القيامة فإنه يذكر التالي للفاتحة في الصلاة وغيرها بأن الله سيحاسبه على أعماله ويجزيه بها إن خيراً وإن شراً.

وهكذا نجد أن لمفردات الأفعال دلالة صيغها على معان عدة كالتكلف، والتكثير والمشاركة، والمطاوعة الخ ومن مفردات حروف المعاني والأدوات فروق (العطف ونكته وضع بعضها في موضع الآخر، كقوله تعالى في سورة الأنعام (قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) وقوله سبحانه في العنكبوت (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق) فعطف النظر في الأول بثم المفيدة للتراخي، وفي الثاني بالفاء المفيدة للتعقيب.

فهل يوجد في سائر اللغات مثل هذا العطف، الذي تقتضيه المعاني؟

ومثل هذه الخصائص للغة القرآن، ما حققه الإمام عبد القاهر الجرجاني، من الفرق بين الحصر بإنما، والحصر بحرفي النفي والإثبات، كقوله تعالى في الأنعام (قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله) فالحصر هنا بالنفي والإثبات ولكنه في البقرة والنحل حصر بإنما (إنما حرم عليكم الميتة والدم) الخ فالتعبير في الأنعام كان أول ما نزل فيما ينكره المشركون ويجهله المسلمون، وفي سورتي البقرة والنحل كان التعبير في معنى صار معروفا لدى المخاطبين، وإنما تأتي لحصر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته، أو لما نزل منزلة المعلوم، أما الحصر بالنفي والإثبات فيعبر به للأمر ينكره المخاطب ويشك فيه.

فهل يوجد مثل هذه الفروق الدقيقة في أية لغة أخرى، غير لغة القرآن، وهل يفهم المترجمون هذه الدقائق في الكتاب الإلهي حتى يراعوها في ترجمتهم، إن كانت لغتهم تساعدهم على ذلك؟

ومن ذلك الفرق بين (إن وإذا ــ الشرطيتين) الأولى لما فيه جهل المخاطب أو إنكاره أو شكه، وليست كذلك الثانية فإذا جاوزنا المفردات إلى (الجمل) وجدنا الأدق والأحكم في لغة القرآن، مما يتعذر مثله

في أية لغة ، ويكفي في مثال ذلك ماقرره علماء النحو والقواعد ، في الجملة المقيدة بالحال ، والفرق فيها بين الحال المفردة ، وجملة الحال ، وماترتب على ذلك أحكام شرعية في مثل قوله تعالى: «لا تقربوا الصلاة (وأنتم سكارى) حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا » فجملة (وأنتم سكارى) جملة حالية مقيدة للنهي ، وقوله: (جنبا) حال مفردة مقيدة له أيضا ، ولكل منهما معناه في موضعه الخاص به ، فالأولى تفيد النهي عن السكر قبل الصلاة ، لئلا يأتي وقت الصلاة في حال السكر ، فيضطر السكران إلى ترك الصلاة ، أو إلى أدائها وهو سكران ، وهو المنهي عنه في الآية . وأما الثانية (جنبا) فلا تدل على ترك أسباب الجنابة قبل وقت الصلاة ولا في وقتها إلا إذا ضاق الوقت عن الطهارة

فهل يفهم مترجمو القرآن مثل هذه الدقائق ، وهل تساعدهم لغتهم على مراعاتها إن كانوا يفهمونها ، أم يحتاجون إلى شرح وتفسير ، لبيانها ، فيكون أحدهم مفسراً لا مترجما ؟

وأما دقة التعبير ، وخاصية الأسلوب القرآني ، في عجائب شواهده ، وصف الظالمين يوم القيامة ، في قوله تعالى من سورة إبراهيم: (إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ، مهطعين مقنعي رءوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء) فشخوص الأبصار عبارة عن ارتفاعها ، وكون أجفانها مفتوحة ساكنة لا تطرف و (مهطعين) من أهطع البعير إذا صوب عنقه ومد بصره ، وقيل الإهطاع: أن تقبل ببصرك على المرئي تديم النظر إليه ، لا تلتفت إلى غيره ، ويأتي بمعنى الإسراع و (مقنعي رءوسهم) من أقنع البعير رأسه إلى الحوض ليشرب إذا رفعه ، وقيل إنه يكون خفضا ورفعا ، فهو من أسماء الأضداد ، وقوله: (لا يرتد إليهم طرفهم) معناه أن لهم في شخوص الأبصار وإعطائها مع امتداد الأحداق وتصويبها إلى ما تنظر إليه شغلا شاغلا لها أن ترجع إليهم فتكون طوع إرادتهم يوجهونها حيث شاءوا ، بل هم في هول وكرب لا مشيئة ولا سلطان لهم معهما على أبصارهم ، بل عيونهم ممدودة مفتوحة ، لا تطرف ولا تتحرك ولا تتوجه إلى شيء آخر بتصويب ولا تصعيد ، ثم بين علة هذا وسببه في النفس ، فقال : (وأفئدتهم هواء) أي خلاء خاوية من العقل فاقدة للقوة والإرادة ، لعمر الحق ، إذا تصور من يفهم هذا الوصف حق الفهم ، قوما هذه حالهم في ذلك اليوم ، حتى كأنه يراهم ، ليأخذن الرعب بمخنقه ،

وليستحوذ على القلوب على شعوره وإدراكه ، ولا سيما إذا كان من العرب الخلص أو الأعراب الأقحاح .

ويدخل ضمن هذه الخصائص التعبير بالكناية ، مثل – الرفث وإفضاء الزوج إلى الزوج – وقوله تعالى (فلما تغشاها حملت حملا خفيفا) وقوله تعالى: (أو لامستم النساء) وقوله: (نساؤكم حرث لكم) (وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) .

والخلاصة أن أسلوب القرآن نسيج وحده ، وفريد بابه ، فإنه أظهر وجوه الإعجاز القطعية .

فهو يزوج فنون الكلام ، وينظم مقاصد الهداية والإرشاد ، على اختلاف أنواعها ، وتباين موضوعاتها مزجا متلائما ونظما متناسبا متناسقا ، موافقا للذوق السليم ، مطابقا لنكت البلاغة .

فالعقائد الإلهية ، والدلائل العلمية والعقلية ، والأخبار الغيبية ، والسنن الكونية والاجتماعية ، والمواعظ الأخلاقية ، والأدبية ، وأحكام العبادات والمعاملات القضائية والسياسية ، وقصص الأنبياء ، ووصف الأرض والسماء ، وما فيهما من جمادات وأحياء ، وما بينهما من هواء وهباء ، تراه كله في السورة الواحدة ، وترى الكثير منه في آية واحدة بعبارة بديعة مؤثرة ، ينتقل فيها العقل من فائدة إلى فائدة ، ويتقلب فيها القلب من موعظة إلى موعظة ، مع منتهى الإحكام والمناسبة بحيث لا تمل تلاوته ، ولا تفتأ تتجدد هدايته ، حتى إن بعض الأدباء وأهل الذوق في اللغة العربية من غير المسلمين ، يترددون في ليالي رمضان على بيوت معارفهم من المسلمين ، ليسمعوا القرآن ، ويمتعوا قلوبهم وأذواقهم بسماع ترتيله ، بذلك النظم الذي ليس بسجع ولا شعر ، ولا كلام مرسل ، بل هو نظم خاص ، قابل للأداء بالنغمات المختلفة المؤثرة على تفاوت آياته وفواصله ، في الطول والقصر ، فالآية قد تكون كلمة مفردة أو كلمتين ، وجملة أو جملتين ، أو جملا قليلة أو كثيرة ، وكلها مخالفة لسائر أساليب الكلام العربي المنثور والمنظوم ، ولكل نوع منها تأثير غريب في ترتيلها وتجويدها بالأصوات الملائمة لمعانيها فهل في مقدور الخلق كلهم إنسهم وجنهم ، أن يحيطوا بقطرات من هذا البحر الخضم ، والقاموس المحيط الأعظم ، فضلا عن محاكاته وترجمته ؟ اللهم نحمدك على عجز

الجسيم من الاقتراب إلى حمى هذا الطود الشامخ (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام، والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً) (وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً، لا مبدل لكلماته، وهو السميع العليم) انتهى ما أوردناه من المنار بتصرف ملخصاً.

٥ — هؤلاء قالوا في ترجمة القرآن:

محاولات النيل من القرآن، بل والإجهاز عليه، لم تخب نارها، من أول آية طرقت أسماع الملحدين، إلى الآن، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وكم وضعوا من شبهات، وأثاروا من جدل، وحاولوا من تبديل (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) فصلت — ٢٦ — وكان في عصر النزول يتولى الوحي كبت المعارضين، وإلحام المشككين (ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً) الفرقان — ٣٢ وبعد انتهاء الوحي وموت النبي ﷺ، قيض الله لكتابه ولا يزال يقيض من يدفع عنه اشتمال المبطلين، وتحايل المغرضين، وتأويل الجاهلين (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) الحجر — ٩ وبلغ من عنت الملحدين أن طالبوا بتغيير هذا الكتاب الحكيم، وقالوا: «ائت بقرآن غير هذا أو بدله» الآية) يونس ١٥ لأن الأعداء لهذا القرآن في كل جيل يوقنون بأنه العقبة الكئود في طريق مطامعهم، للنيل من الإسلام وأهله، وهو الطود الأشم، الذي تتكسر على جنباته عواصف التشكيك والتلبيس (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) التوبة ٣٢ — ومهما تنوعت أساليب مكرهم ومهما أخفوا مقاصدهم، بمعسول القول، وخداع الوسيلة، فإن الله من ورائهم محيط، وإن حزب الله لهم بالمرصاد، والله غالب على أمره.

كانت أول محاولات استبدال القرآن العربي المعجز، بقرآن آخر بلغة أخرى، في خلافة الأمويين، ومن عهدهم إلى يومنا هذا والمحاولات مستمرة، وقد ترجم إلى عدة لغات أجنبية كلها مملوءة بالأخطاء في اللفظ وفي المعنى، حدث هذا في أواخر القرن السابع الميلادي كما ترجم أيضاً في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي

وما بعده إلى لغات عدة كالإيطالية والهندية والفرنسية والألمانية والهولاندية والروسية والإنجليزية والتركية، وغيرها، وكلها ترجمات تفسيرية لمعاني فهموها هم حسب قصورهم أو غرضهم الفاسد، ولا تخلو من تحريفات، والقصد من ورائها مهاجمة القرآن، وإضعاف ثقة المسلمين به، ليتم لهم الضلال والضياع.

ولكن مشيخة الأزهر تصدت لهذه المحاولات الخبيثة، وأعلنت فسادها، وعارضتها بترجمة التفسير الصحيح للقرآن وذلك منذ أكثر من ثلث قرن، كما بينت أن القرآن لفظ معجز، تستحيل ترجمته، وأنه من الممكن ترجمة معانيه الأصلية، ولما ترجمت تركيا المصحف الشريف، انتصر لترجمته الشيخ محمد فريد وجدي، وطالب بتعميم الترجمة لكل اللغات، وكتب في هذا كثيراً، وكما كتب رسالته (الأدلة العلمية، على جواز ترجمة معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية) جعلها ملحقاً بمجلة الأزهر التي كان يرأس تحريرها عام ١٣٥٥ هـ — ١٩٣٦ م وتتكون رسالته تلك في ٧٩ صفحة.

وقام بالرد عليه الشيخ محمد سليمان نائب المحكمة العليا الشرعية في رسالته المسماة (حدث الأحداث في الإسلام، الإقدام على ترجمة القرآن) في ربيع الثاني ١٣٥٥ هـ وهو عبارة عن ٢٣٩ صفحة، ملأه بالنصوص العقلية والنقلية والفقهية، في إبطال ترجمة القرآن كما انبرى للرد أيضاً الشيخ محمد مصطفى الشاطر في رسالته (الرد على مشروع ترجمة القرآن الكريم عام ١٣٥٥ هـ أيضاً وسماها «تذكرة في أولي البصائر والأبصار، إلى ما في ترجمة معنى القرآن من أخطار» مرفوعة إلى مشيخة الأزهر ومكونة من ٧٧ صفحة وبذلك دخلت الحشرات في جحورها، تنتظر الفرص المواتية، لعلها تبلغ حاجة في نفسها.

وما هي النتيجة لكل هذه المحاولات؟ من خير الأجوبة على هذا التساؤل مقالة الدكتور رسماد في صحيفته اليومية: «لم يبق للمسلمين اليوم جامعة تجمعهم في مشارق الأرض ومغاربها على تنائي أممهم، وتفتت وحدتهم، وتمزق كيانهم شر ممزق، إلا التقديس لهذا القرآن العظيم، وحبه والإيواء إليه والتحامي به في الأحداث فهو الوشيجة العظمى الباقية لهم، التي يمكن أن تستثير همتهم وتجمع جامعتهم وتؤلف بينهم، ومن مصلحة أعداء الإسلام أن يعملوا جاهدين على انتزاع القرآن في نفوس الشباب المسلم من الأجيال الجديدة، والتهوين

(البقية ص ٧٤٧)

السكت على الساكن ، ثم ينفر عنه مع الحركة فى عدو وهرولة ، أو كالقراءة باللين والرخاوة فى الحروف أو المبالغة فى القلقلة أو تفخيم الراء الساكنة ولو كان قبلها ما يوجب ترقيقها ، أو المبالغة فى إخفاء الحروف أو ترك التجويد مطلقا . . . الخ

أما بعد : فالقول بأن القرآن محتاج إلى موسيقى تزيده تأثيرا هو أفتئات كذبة على الحق الواضح والأمر الكائن ، وهو بائقة وتنكس فيها قائلوها ، وهو عدوان على أغلى أمانة أورثها الله الذين اصطفى من عباده .

والهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون ؟

لبيب السعيد

(بقية المنشور على ص ٧٣٨)

من هذه عليهم ، وإسقاط ، جلاله (والغوا فيه) واللغو : إحداث شوشرة وضوضاء تضعف من وقع تأثيره ولا جديد تحت الشمس ـ فالذى يصنعه الثائرون الجدد اليوم لتخريب مكانة القرآن فى نفوس العرب والمسلمين ، هو ما كان يصنعه أسلاف لهم من قبل ، ولكننا نقطع بأن الفشل الذى أصاب المشركين من قبلهم ، سيصيبهم أيضا بشكل أخزى لهم وأشد خيبة ، وسيظل القرآن ملء النفوس والقلوب ، وملء السموات والأرض ، وملء الزمان وملء الأبد

وأخيرا (وليس بآخر) فإن القرآن كلام الله ، وكلامه تعالى صفة من صفات ذاته ، واعتقادنا الذى ندين الله عليه أن كلام الله كخلق الله ، فكما أنه (لا تبديل لخلق الله) فكذلك (لا مبدل لكلماته) ولا قيام لباطل إلا فى غفلة الحق ، ولكن لا تزال طائفة من هذه الأمة قائمة بالحق ظاهرين به ، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يقاتل آخرهم المسيخ الدجال ، وحتى يأتى أمر الله وهم على ذلك ، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وهو المستعان ؟

عبد اللطيف مشتهرى

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى